الوطنية فى عالم بلا هوية
الانتماء فى زمن الفضاء

مُقَدِّمَة:

مع حلول الألفية الثالثة فى برد الشتاء القارس بعواصفه الهوجاء وأمواجه الهادرة ، تدخل البشرية منعطفاً خطيراً ، تدفع فيه القوى الطاردة المركزية للعولمة الناس ، شعوباً ودولاً وأفراداً ، إلى طريق جديد .

العولمة قدر مكتوب ، فلقد دخلنا فعلاً أول الطريق المجهول ، تدفعنا فيه جميعاً قوى عاتية أطلقت من عقالها ، ونتزاحم فيه جميعاً فى صراع رهيب . هل يا ترى هو سباق نحو القاع ، أو هو تدافع نحو الهاوية ، أم هو الحلم المخادع دائماً للبشرية مجتمع الأمل والعدل والسلام ؟

العولمة أصبحت واقعاً، والطريق إليها طريق تتلاحق فيه الأضواء المبهرة والعتمة القاتمة، ولكن فى الأفق تلوح طاقة أمل تحتاج إلى قدر هائل من العمل ، هل هى نهاية التاريخ كما يدعى " فوكوياما " اليابانى الأصل والمنتشى بالحضارة ؟ أو " التكنولوجيا "

الأمريكية ؟ أم هى مرحلة صدام حضارات مروعة كما يصورها صامويل هنتينجتون (*Samuel Huntington*) ؟

الأول يستنسخ من جديد الحتمية التاريخية التى يشير لها " هيجل وماركس " ولم يكبح جماح حماسه مصير النظريتين الجدلية الهيجلية والماركسية ، والثانى يستحدث حرباً صليبية من جديد ، مبشراً بصدام بين الغرب والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية ، ويبشر بالهيمنة الغربية .

أم أن الأمر لا يعدو أن يكون دورة جديدة من دورات الزمن ، تتهيأ للبشرية فيها فرص فريدة ، إذا لم ينس الانسان فيها إنسانيته ، ولم تتفش حالة التسمم التكنولوجى التى أصابت الكثيرين فى الغرب ؟

هل يمكن أن يتحول المنعطف التاريخى الخطير إلى منصة انطلاق واعدة لعصر جديد يحمل خيراً كثيراً للإنسانية كلها ، ويفتح أمامها آفاقاً لم تخطر على عقولهم من قبل ؟ تجعلهم أكثر أمناً واستقراراً ، أفضل صحة وعافية ينعمون فيه بدفء إنسانى واطمئنان أخلاقى ، فى عالم يسود فيه التراحم والتفاهم ويعلو فيه التكافل والاهتمام بالآخرين ، تلعب فيه الاكتشافات العلمية والتكنولوجية دوراً مبهراً فى رفع مستوى الحياة للفقراء والمحتاجين وتأخذ بيد غير القادرين ، وتخلق فرصاً جديدة للعجزة والمعوقين ، وتتفتح فيه أبواب الشفاء لمن فقدوا الأمل فى الحياة .